سلسلة مطويات شبكة بينونة

نعمة المرض

فوائده وأحكامه

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

الشيخ
إبراهيم بن عبدالله المزروعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وبعدُ:

سنةُ الابتلاءِ:

إنَّ المرضَ وسائرَ المكارِهِ، بل الصحةُ وسائرُ المحابِّ سُنةٌ ربَّانيةٌ للابتلاء والامتحان، فالعبد مبتلى في كل شيء، فيما يسُرُّهُ ويحبه، وفيما يسُوؤُهُ ويكرَهُهُ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نبتليكم بالشدة والرخاء، والصحة والسَقَمِ، والغِنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهُدى والضلالة»[(١)]، فالأمراضُ مِن جُملة ما يَبتلي اللهُ به عبادَهُ، ولها فوائدُ وحِكَمٌ، وذَكَرَ ابنُ القيم أكثرمِن مئةٍ منها في شفاء العليل[(٢)].

ومِن حِكَمِ وفوائدِ المرضِ:

١- استخراجُ عبودية الضرَّاءِ، وهي الصبرُ، وعبوديةُ السرَّاء، وهي الشكرُ:

فتتقلَّبُ أحوالُ العبدِ بين المرضِ والصحةِ حتى يتبين صدقُ عبوديته لله تعالى، قال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[(٣)].

٢- تكفير الذنوب والسيئات: فالمرض سببٌ في

---

(١) تفسير الطبري (١٧/٢٥).
(٢) انظر شفاء العليل (ص ٥٢٥).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٩).

تكفير خطاياك التي اقترفتها بقلبك وسمعك وبصرك ولسانك، وسائر جوارحك.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذنوبُ تكفِّرُها المصائبُ والآلامُ والأمراضُ، وهذا أمر مجتَمَعٌ عليه»[٤]، فإن المرض قد يكون عقوبةً على ذنب وقع من العبد.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾[الشورى:٣٠].

وقال ﷺ: «مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ, وَمَا يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ»[٥].

وتعجيل العقوبة للمؤمن في الدنيا خيرٌ له: كما قال ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٦].

ومن الأحاديث الكثيرة في بيان تكفير الأمراض للذنوب:

قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ، فَمَا سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[٧].

وقال ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلاَءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[٨].

٣- كتابة الحسنات ورفعُ الدرجات: فإذا صبر العبدُ على المرض فإنَّه يُثاب بكتابة الحسنات له، ورفع

---

(٤) التمهيد لابن عبد البر (٢٣/٢٦).
(٥) المعجم الصغير للطبراني برقم (١٠٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٢١)
(٦) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦)، وهو في صحيح الجامع برقم (٣٠٨).
(٧) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٦٤٨)، ومسلم برقم (٢٥٧١)، واللفظ له.
(٨) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٩).

الدرجات، وحصول الأجور العظيمة، ففي الحديث الصحيح: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ»(٩).

وفي الحديث: «لَا يُصِيبُ مُؤْمِنًا نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ، إِلَّا حُطَّتْ بِهِ عَنْهُ خَطِيئَةٌ، وَرُفِعَ بِهَا دَرَجَةً»(١٠).

٤- سببٌ في دخول الجنة: لا تُنال الجنة إلا بما تكرهه النفس، كما في الحديث: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»(١١).

والنبي ﷺ قال للمرأة التي تُصرَع: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ»(١٢).

وفي الحديث القدسي: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ»(١٣)، فالبلايا والأمراض والأحزان من أسباب دخول الجنة.

٥- النجاة من النار: عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ: «أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا، وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ وَعْكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ»(١٤).

وعن عائشة ﷺ مرفوعاً: «الْحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ»(١٥).

٦- ردُّ العبدِ إلى ربه وتذكيرُهُ بمعصيته، وإيقاظه مِن

---

(٩) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٢).
(١٠) مسند احمد برقم (٢٥٢٦٤)، وهو في صحيح الجامع برقم (١٦٦٠).
(١١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٦٤٨٧)، ومسلم برقم (٢٨٢٢) واللفظ له.
(١٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٧٦).
(١٣) صحيح البخاري برقم (٥٦٥٣).
(١٤) سنن ابن ماجه برقم (٣٤٧٠)، وهو في الصحيحة (٥٥٧).
(١٥) مسند البزار برقم (١٨٢١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٢١).

غفلته: فالمرض والمصائب تردُّ العبدَ الغافلَ عن ربه إليه، وتَكُفُّهُ عن معصيته، لأنه إذا ابتلاه اللهُ بمرضٍ أو غيره استشعر ضعفَهُ وذُلَّهُ وفقره إلى مولاه، وتذكَّر تقصيره في حقه، فعاد إليه نادما، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[الأنعام:٤٢].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فامتحنَّاهُم بشدة الفقر والأسقام لعلهم يتضرعون إليَّ، ويُخلصوا لي العبادة»[١٦]. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مصيبةٌ تُقبِلُ بها على الله، خيرٌ مِن نعمة تنسيك ذكر الله»[١٧].

٧- تذكيرك بنِعَمِ اللهِ السابقة والحاضرة: فالمرض يُذَكِّرُكَ بكثيرٍ مِن النعم التي تتمتع بها وأنت صحيح، فيكون ذلك التذكير سبباً في زيادة شكرك لربك، وفي هذا أعظمُ المنفعة للعبد.

٨- تذكيرك بحال إخوانك المرضى: الذين طالما غَفَلْتَ عنهم في حال الصحة والسلامة، فيدعوك ذلك إلى القيام بحقوقهم، وزيارتهم، وقضاء حوائجهم، والتخفيف عن مصائبهم ومواساتهم، والسعي في أسباب الشفاء لهم، والدعاء لهم بالعافية، إلى غير ذلك.

٩- طهارة القلب من الأمراض: كالكِبر والخُيلاء، والعجب، والحسد، وسائر الأمراض القلبية.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض أمرٌ لا يحس به إلا مَن فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة على الآم الأبدان ومشاقِّها»[١٨].

---

(١٦) تفسير الطبري (١٩٢/٧).
(١٧) تسلية أهل المصائب (ص٢٢٦).
(١٨) شفاء العليل (ص ٥٢٤).

المرضُ نعمةٌ ومنحةٌ:

من خلال ما تقدَّم ذكره من فوائد المرض: يتَّضِحُ لنا أنَّ الأمراض والمصائب نعمةٌ ومنحةٌ مِن الله ورحمة؛ ولكون المرض والبلاء نعمةٌ كان الصالحون يفرحون به كما يفرح الواحد منا بالرخاء.

فقد ذكر ﷺ ابتلاءَ الأنبياءِ والصالحينَ بالمرضِ وغيره ثم قال: «وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ»(١٩).

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك في مدارج السالكين فقال: «ارض عن الله في جميع ما يفعله بك، فإنه ما منعك إلا ليعطيك، ولا ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أمرضك إلا ليشفيك، ولا أماتك إلا ليحييك، فإياك أن تفارق الرضى عنه طرفة عين، فتسقط من عينه»(٢٠).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ليس بفقيهٍ مَن لم يَعُدّ البلاء نعمة، والرخاء مصيبة»(٢١).

البلاء يشتدُّ على المؤمنين بحسب إيمانهم:

قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»(٢٢).

بشرى للمريض:

ما كنتَ تعملُهُ مِن الطاعات والقُربات، ومنعك المرض من فِعله، فهو مكتوبٌ لك ولو لم تفعله ؟!. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ،

---

(١٩) سنن ابن ماجة برقم (٤٠٢٤)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٤٤).
(٢٠) مدارج السالكين (٢/٢١٦) وراجعه ففيه كلامٌ نفيس.
(٢١) حلية الأولياء (٧/٥٥).
(٢٢) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٦٤٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٧٠).

أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا »[٢٣].

وعن أنس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلَاءٍ فِي جَسَدِهِ، قَالَ لِلْمَلَكِ: اكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، فَإِنْ شَفَاهُ، غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ، وَإِنْ قَبَضَهُ، غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ »[٢٤].

الصبر على البلاء والمرض: إن واجبك أخي المريض أن تصبر على هذا البلاء.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصبر على المصائب واجبٌ باتفاق أئمة الدين»[٢٥].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصبر على المصائب واجبٌ بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان، فإن الإيمان نصفان، نصفُ صبرٍ، ونصفُ شكر»، ثم قال: «والصبر يتحقق بثلاثة أمور: حبس النفس عن الجزع والسخط، وحبس اللسان عن الشكوى للخلق، وحبس الجوارح عن فعل ما ينافي الصبر».

ثم ذكر أن أنواع الصبر ٢٢« نوعاً » منها:

أن الله عز وجل أثنى على أهل الصبر، وأحبَّ أهلَهُ وأوجب معيته لهم، في ذلك آيات كثيرة.

منها: قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُواْۖ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

قال بعض السلف: « ذهب الصابرون بخير الدنيا

(٢٣) صحيح البخاري برقم (٢٩٩٦).
(٢٤) مسند أحمد برقم (١٣٧١٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨).
(٢٥) تسلية أهل المصائب (ص ١٧٣).

والآخرة؛ لأنهم نالوا مِن الله معيته »[٢٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر:١٠][٢٧].

وأخبر النبي ﷺ أن الصبر خير ما أُعطيه العبد فقال: « مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ »[٢٨].

أمَّا أخبارُ وآثارُ السلفِ الصالحِ فكثيرةٌ جداً:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ »[٢٩].

وقال علي رضي الله عنه: « الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد »[٣٠].

وقال الحسن رحمه الله: « الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده »[٣١].

أسباب الصبر على المرض:

هناك أسباب وأمور تعين على تحصيل الصبر على المرض، منها:

١- العلم بأن المرض مُقَدَّرٌ مِن عند الله: قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة:٥١].

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن:١١].

قال علقمة رحمه الله: «هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم

---

(٢٦) عُدَّةُ الصابرين (ص ١٣٤).
(٢٧) راجع مدارج السالكين (٢/ ١٥٢)، وعدة الصابرين لابن القيم(ص ١٣٤).
(٢٨) متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣).
(٢٩) صحيح البخاري (٨/ ٩٩).
(٣٠) تسلية أهل المصائب لابن تيمية (ص ١٨٢).
(٣١) المرجع السابق (ص١٨٢).

أنها من عند الله، فيرضى ويُسلِّم»[٣٢].

٢- أن تتيقن أن اللهَ أرحمُ بك من نفسِكَ، ومن الناس أجمعين، قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام:٥٤].

وقال ﷺ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»[٣٣]، فإذا علمت أن الله أرحم بك من نفسك، دعاك هذا إلى الاستسلام لما يقضيه، والصبر على تدبيره.

٣- أن تعلم أن حق الله عليك في هذه البلوى هو الصبر، فهو عبودية الضرَّاء.

٤- أن تتذكر فوائد المرض وثمراته التي مرت معنا.

٥- أن تعلم أن الله أراد بك خيراً في هذا المرض، ففي الحديث: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»[٣٤].

٦- أن تعلم أن الابتلاء بالمرض وغيره علامة على محبة الله للعبد: قال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[٣٥].

٧- ومن الأمور التي تعين على الصبر: علمك بأنَّ الجَزَعَ لا يفيدك، وإنما يزيد آلامك ويضاعف عليك المصيبة، ويفوِّتُ عليك الأجر، كما في الحديث السابق: «فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[٣٦].

٨- تَذَكُّرُ الموتِ، وسرعة الانتقال عن هذه الدار: فضيق المرض يُهَوِّنُ عليه ذكر الموت، كذلك يوسع عليه

---

(٣٢) تفسير ابن كثير (١٦٣/٨).
(٣٣) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٩٩٩)، ومسلم برقم (٢٧٥٤).
(٣٤) صحيح البخاري برقم (٥٦٤٥).
(٣٥) سنن الترمذي برقم (٢٣٩٦)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٨٦/٢).
(٣٦) تقدَّم تخريجه.

لعلمه بالثواب والأجر، فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ، فَمَا ذَكَرَهُ عَبْدٌ قَطُّ وَهُوَ فِي ضِيقٍ إِلَّا وَسَعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ وَهُوَ فِي سَعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ»(٣٧).

وقال عمر بن عبد العزيز: «إذا كنت من الدنيا فيما يسوؤك، فاذكر الموت يسهل عليك»(٣٨).

٩- ومن أسباب الصبر على المرض: علمك بأن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وهي محل للأنكاد والأسقام والأحزان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[البلد:٤].

قال بعض السلف: «يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة»(٣٩).

١٠- التسلي والتأسِّي بالنظر إلى مَن هو أشدُّ منك بلاءً، وأعظم منك مرضاً.

١١- أن تنظر إلى ما أبقاه الله عليك من النِعم الأخرى، نعمة الإيمان، والعقل، والسمع والبصر، والنطق، وغيرها.

قال بكر المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فغمِّض عينيك»(٤٠).

١٢- ومن أسباب الصبر على المرض: أن تُصَبِّرَ نفسك عليه، كما في الحديث: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»(٤١).

١٣- وأخيراً من الأسباب: انتظار الفرج، فإن في ذلك

(٣٧) صحيح ابن حبان برقم (٢٩٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢١١).
(٣٨) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (ص٤٢).
(٣٩) تفسير ابن جرير (٣٠/١٩٧).
(٤٠) الشكر لابن أبي الدنيا (ص ١٥٧).
(٤١) متفق عليه: رواه البخاري برقم (١٤٦٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٥٣).

تهوينا للمرض ومعونة على الصبر عليه.

نصائح للمريض:

١- دَع عنك «لو» فإنها تفتح عمل الشيطان: فإذا مرضت بسببٍ من الأسباب، فلا تَقُل: لو فعلتُ كذا لكان كذا، ولو لم أفعل كذا لم يكن كذا، إلى غير ذلك مما فيه اعتراض على القدر.

٢- لا حرج عليك في التداوي، وبذل أسباب الشفاء، والبحث عن الطبيب الماهر: لقوله ﷺ: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً»(٤٢).

لكن تنبَّه إلى أمرين:

«أ» أن الدواء مجرد سبب للشفاء: والشافي حقيقةً هو الله، فلا يتعلق قلبك بطبيب ما.

«ب» لا تتداوى بمحرم: لحديث: «تَدَاوَوْا، وَلَا تَتَدَاووا بِحَرَامٍ»(٤٣).

٣- لا تخف من الموت، فإن المرض لا يُقَرِّبُ من الموت ولا يُدنِي منه، كما أنَّ الصحة لا تُباعد منه.

كَمْ مِن صحيحٍ ماتَ مِن غيرِ عِلَّةٍ ... وكَمْ مِن عَليلٍ عَاشَ حِيناً مِن الدَهرِ
وكَمْ مِن فَتًى يُمسي ويُصبح آمنا ... وقَد نُسِجَتْ أكفَانُهُ وهُو لا يَدْرِيْ

٤- لا تتمنى الموت، ولا تَدْعُ به إذا اشتد عليك المرض، وازداد عليك الألم.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ

---

(٤٢) سنن ابي داود برقم (٣٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٩٣٠).

(٤٣) المعجم الكبير للطبراني برقم (٦٤٩)، وحسَّن سنده الألباني في الصحيحة برقم (١٦٣٣).

الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي»[٤٤].

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا نهيٌ عن تمني الموت للضر الذي ينزل بالعبد مِن مرضٍ أو فقرٍ أو خوفٍ، أو وقوعٍ في شده ومَهلَكَةٍ، فإن في تمني الموت لذلك مفاسد: منها: أنه يؤذِنُ بالتسخُّط، وهو مأمور بالصبر، وأنه يُضعف النفس ويوقع في اليأس، وأنَّ الموت يقطع على العبد الأعمال الصالحة التي هو بصدد فعلها».

٥- عليك بالدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، فهو الشافي وحده: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل:٦٢].

ولا تستعجل الإجابة: لحديث: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[٤٥]، وعليك بالإلحاح بالدعاء، وكُن على يقينٍ بالإجابة.

وعليك بالرقى الشرعية، فهي من أسباب الشفاء المؤثرة بإذن الله تعالى ومنها:

قراءة الفاتحة مع النفث، وقراءة المعوذات ثلاث مرات مع النفث لحديث عائشة في الصحيحين أيضاً.

المسح باليد اليمنى وقول: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»[٤٦].

وضع اليد على مكان المرض وقول: «بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وأَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[٤٧].

---

(٤٤) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٦٧١) ومسلم برقم (٢٦٨٠).
(٤٥) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٦٣٤٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٣٥).
(٤٦) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٦٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١).
(٤٧) صحيح مسلم برقم (٢٢٠٢)، ومالك وأبو داود.

يأخذ الراقي من ريق نفسه على إصبعه، ثم يضعها على التراب، ثم يمسح به على الموضع العليل ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا»(٤٨).

٦- عليك بالاستغفار والتوبة وذكر الله تعالى دائماً.

٧- أحسِن الظنَّ بربك؛ لأن الله لا يظلم أحداً.

٨- انتظر الفَرَجَ، واعلم أنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العُسر يُسراً.

٩- لا تأت الكُهَّان والعرافين والسحرة، وغيرهم ممن يدعي علم الغيب.

قال ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(٤٩).

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يجوز للمريض أن يذهب إلى الكهنة الذين يدَّعون علم الغيب ليعرف منهم مرضه، كما لا يجوز أن يصدِّقهم فيما يخبرونه به، فإنهم يتكلمون رجماً بالغيب»(٥٠).

١٠- لا تأْسَ على ما فاتك مِن حُظوظ الدنيا بسبب المرض، فإن الدنيا بأجمعها لا تستحق الحزن لفقدها.

قال ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»(٥١).

ثم إن الرزق قد تكفَّل اللهُ به: ففي الحديث: «إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ»(٥٢).

---

(٤٨) متفق عليه: رواه البخاري برقم (٥٧٤٥) ومسلم برقم (٢١٩٤).
(٤٩) صحيح مسلم برقم (٢٢٣٠).
(٥٠) مجموع الفتاوي (٣/ ٢٧٤)
(٥١) سنن الترمذي برقم (٢٣٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٢٩٢).
(٥٢) صحيح ابن حبان برقم (٣٢٣٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم

وقال ﷺ: «لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ الْعَبْدُ حَتَّى يَبْلُغَهُ آخِرُ رِزْقٍ هُوَ لَهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»(٥٣).

١١- لا تَشْكُ مَن يَرْحَمُكَ إلى مَن لا يرحمك: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنَ فَلَمْ يَشْكُنِي إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِي، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، ثُمَّ يُسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ»(٥٤).

أمَّا إخبار المريض بمرضه: لا على سبيل الشكوى، وإنما إجابةً لسؤالٍ، أو إخبارُ الطبيب، أو مَن يرجو أن يَدُلَّهُ على الدواء، فهذا جائز.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا حَمِدَ المريضُ اللهَ، ثم أخبر بعِلَّتِهِ لم يكن شكوى منه، وإنْ أخبَرَ بها تبرُّمَاً وتسخُّطَاً كان شكوى منه»(٥٥).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا إخبارُ المريضِ صديقَهُ أو طبيبَهُ عن حالِهِ فلا بأس به اتفاقاً»(٥٦).

١٢- احفظ وقتك بما ينفعك ويقربك إلى ربك على قدر استطاعتك، وابتعد عن المحرمات كلها.

١٣- بادر بكتابة وصيتك إذا كان عليك حقوق للناس، أو لك حقوق عندهم، أو ترغبُ في الوصية بشيء مِن مالِكَ.

١٤- تحلَّل ممن له عليك حق: قال ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ،

(١٦٣٠).

(٥٣) صحيح ابن حبان برقم (٣٢٣٩)، وهو في صحيح الجامع برقم (٧٣٢٣).

(٥٤) شعب الإيمان للبيهقي برقم (٨٨٠١)، وهو في صحيح الجامع برقم (٤٣٠١).

(٥٥) عُدَّةُ الصابرين (ص١٠٧).

(٥٦) فتح الباري (١٠/ ١٢٤).

قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ »[٥٧].

١٥- وأخيراً: إذا مَنَّ اللهُ عليك بالشفاءِ فاحمَدْهُ واشكُرْهُ، واعلم أنَّ الصحة من أجلِّ النِعم وأعظمها، واغتنم صحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، واستعملها في طاعة الله تعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

❋ ❋ ❋

(٥٧) صحيح البخاري برقم (٢٤٤٩).